المعونات الخارجية والاقتصاد الاسرائيلي

د. محمد عبد العزيز ربيع

تميز ربع القرن الاول من حياة اسرائيل (١٩٤٨ ـ ١٩٧٣) بوضع اقتصادي جيد، حيث ارتفعت معدّلات النمو وانخفضت معدلات البطالة وتحسّنت مستويات المعيشة، عاماً بعد عام. اذ بينما بلغ معدل النمو الاقتصادي، خلال تلك الفترة، حوالى تسعة بالمئة في السنة، تجاوز معدل نمو نصيب الفرد من الناتج القومي الاجمالي ٤,٩ بالمئة في السنة. ولقد تمكّنت اسرائيل من تحقيق تلك المنجزات على الرغم من ارتفاع الانفاق على الجيش والعمليات العسكرية، ومعاناة الميزان التجاري من عجز دائم، وتضاعف عدد السكان نتيجة لتزايد اعداد المهاجرين من يهود العالم الى اسرائيل. أضف الى ذلك ان تلك المنجزات تحققت على الرغم من تواضع موارد اسرائيل وثرواتها الطبيعية، وقيامها بشن حربين رئيستين على الدول العربية المجاورة، في السنتين ١٩٥٦ و١٩٦٧. في ضوء ذلك كله، لا بد ان تبدو انجازات اسرائيل الاقتصادية عملاً عظيماً ومثيراً للتساؤلات في آن.

خلال الفترة ١٩٧٤ ـ ١٩٨٢، عاشت اسرائيل فترة سلام لم تتخللها الحروب؛ كما ان معدلات الهجرة اليهودية انخفضت الى درجة كبيرة جداً. الّا ان تلك الفترة شهدت، أيضاً، انخفاض معدلات النمو الاقتصادي وتوقفها عن النمو تقريباً، وارتفاع معدلات البطالة، وازدياد حجم العجز في الميزان التجاري، وتضاعف معدلات التضخم، وتدهور قيمة العملة الاسرائيلية. ولقد استتبع ذلك تراجع معدل النمو الاقتصادي الى ٣,١ بالمئة في السنة، وانخفاض معدل النمو في نصيب الفرد من الناتج القومي الى أقل من واحد بالمئة في السنة.

السنوات الخمس التالية (١٩٨٢ ـ ١٩٨٧) شهدت دخول الاقتصاد الاسرائيلي حالة من الركود والانكماش أدت الى انخفاض معدل النمو الى أقل من واحد بالمئة في السنة[١]، واتجاه معدل نصيب الفرد من الناتج القومي الى التناقص. ونتيجة لذلك، اخذت مستويات المعيشة في الانخفاض التدريجي، حيث بلغت نسبة التراجع، في منتصف العام ١٩٨٧، حوالى عشرة بالمئة عمّا كانت عليه في العام ١٩٨٢[٢]. أما معدل الدخل الفردي، والذي بلغ ٥٥٠٠ دولار في العام ١٩٨٦، فبقي على حاله دون تغير منذ العام ١٩٨٠. في الوقت ذاته، كانت معدلات البطالة في ارتفاع مستمر، ومعدلات الاستثمار في انحدار دائم، ومعدلات التضخم في تصاعد لم يسبق له مثيل. أضف الى ذلك نموّ العجز في الميزان التجاري، واتساع حجم العجز في الميزانية، وارتفاع الديون الخارجية الى ٢٩ مليار دولار[٣].

تتميز اسرائيل، اليوم، بكونها اكثر دول العالم مديونية للخارج، بالنسبة الى نصيب الفرد، واكثرها عجزاً في الميزانية وفي الميزان التجاري؛ كما تتميز، أيضاً، بكونها اكثر دول العالم اعتماداً على الصادرات والواردات، اذا ما قيست الصادرات والواردات بالناتج القومي الاجمالي. أضف الى ذلك اعتماد اسرائيل على المعونات الخارجية، حيث اصبحت، اليوم، اكثر دول العالم اعتماداً على